

وابن زيد يعني صوتا ، وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا ، والرکز في أصل اللغة هو الصوت الخفي ، قال الشاعر : فتوحشت ركز الأنيس فراعها \* عن ظهر غيب والأنيس سقامها .  
آخر تفسير سورة مريم وثقه الحمد والنث . ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة طه والله الحمد .

### ( تفسير سورة طه وهي مكية )

روى إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسبار عن همر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة - يعني عبدالرحمن بن يعقوب - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

### ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

﴿ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى \* تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى \* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى \* لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى \* وَإِن تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن حاتم حدثنا الحسين ابن محمد بن شيبة الواسطي حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيرى - أنبأنا إسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه يا رجل وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفى والحسن وقتادة والضحاك والسدى وابن أبزى أنهم قالوا : طه بمعنى يا رجل ، وفي رواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثوري أنها كلمة بالنبطية معناها يا رجل . وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى ( طه ) يعني طأ الأرض يا محمد ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الاكرام وحسن المعاملة وقوله ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) قال جوير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال للمشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى ( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ) فليس الأمر كما زعمه البلطون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان بن عمار بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا تعد على كرسية لقضاء عباده إنى لم أجعل على وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثي ذكره أبو عمرو في استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب . وقال مجاهد في قوله ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) هي كقولهم ( فاقروا ما تيسر منه ) وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة ( إلا تذكرة لمن يخشى ) إن الله أنزل كتابه وبث رسوله رحمة رحمة بها عباده ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، وقوله ( تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى ) أى هذا القرآن الذى



قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في شيء وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم وقوله ( وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ) أى أنزل هذا القرآن الذى خلق الأرض والسموات العلى الذى يعلم السر وأخفى كما قال تعالى ( قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ) قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس ( يعلم السر وأخفى ) قال السر ما أسره ابن آدم فى نفسه ( وأخفى ) ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فإله يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقى علم واحد وجميع الخلائق فى ذلك عنده كمنفس واحدة وهو قوله ( ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ) وقال الضحاك ( يعلم السر وأخفى ) قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبير أنت تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غداً والله يعلم ما أسر اليوم وما أسر غداً ، وقال مجاهد ( وأخفى ) يعنى الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبير ( وأخفى ) أى ما هو عامله مما لم يحدث به نفسه ، وقوله ( الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ) أى الذى أنزل عليك القرآن هو الله الذى لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة فى الأسماء الحسنى فى أواخر سورة الأعراف والله الحمد والمنة

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِبَقَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾

من هنا شرع تبارك وتعالى فى ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره فى رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصداً بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلاً بين شعاب وجبال فى برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليورى ناراً كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شرر ولا شيء فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً أى ظهرت له نار من جانب الجبل الذى هناك عن يمينه فقال لأهله يبشرهم ( إنى آنست ناراً لعلى آتاكم منها قبس ) أى شهاب من نار وفى الآية الأخرى ( أو جذوة من النار ) وهى الجمر الذى معه لمب ( لعلكم تصطلون ) دل على وجود البرد وقوله ( قبس ) دل على وجود الظلام وقوله ( أو أجد على النار هدى ) أى من يهدينى الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثورى عن أبى سعد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ( أو أجد على النار هدى ) قال من يهدينى إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال إن لم أجد أحداً يهدينى إلى الطريق آتيتكم بنار توقدون بها

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى \* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى \* وَأَنَا أَخْتَرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى \* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي \* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ \* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾

يقول تعالى ( فلما أتاهها ) أى النار واقترب منها ( نودى يا موسى ) وفى الآية الأخرى ( نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله ) وقال ههنا ( إنى أنا ربك ) أى الذى يكلمك ويخاطبك ( فاخلع نعليك ) قال على بن أبى طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كاتمان جلد حمار غير ذكى ، وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيماً للبقعة : وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة ، وقيل ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافياً غير متعل وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله ( طوى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس

هو اسم للوادي وكذا قال غير واحد ، فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الأمر بالوطة بقدسية ، وقيل لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت والأول أصح كقوله ( إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى ) وقوله ( وأنا اخترتك ) كقوله ( إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ) أى على جميع الناس من الموجودين في زمانه ، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتندرى لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لأنى لم يتواضع إلى أحد تواضعك ، وقوله ( فاستمع لما يوحى ) أى استمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك ( إني أنا الله لا إله إلا أنا ) هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وقوله ( فاعبدنى ) أى وحدنى وقم بعبادتى من غير شريك ( وأقم الصلاة لذكرى ) قيل معناه صل لئذ كرتى وقيل معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لى ويشهد لهذا الثانى ما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا الثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة لله كرى » وفى الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك » وقوله ( إن الساعة آتية ) أى قائمة لا محالة وكائنه لا بد منها وقوله ( أ كاد أخفيها ) قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرؤها أ كاد أخفيها من نفسى يقول لأنها لا تخفى من نفس الله أبدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ( أ كاد أخفيها ) يقول لا أطلع عليها أحدا غيرى وقال السدى ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهى فى قراءة ابن مسعود إني أ كاد أخفيها من نفسى يقول كتمتها من الخلائق حتى لو استطعت أن أ كتمتها من نفسى لفعلت ، وقال قتادة أ كاد أخفيها وهى فى بعض القراءات أخفيها من نفسى ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الأنبياء والمرسلين ، قلت وهذا كقوله تعالى ( قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ) وقال ( ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ) أى ثقل علمها على أهل السموات والأرض ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب حدثنا أبو نيملة حدثنى محمد بن سهل الأسدى عن ورقاء قال أقرأنيها سعيد بن جبير أ كاد أخفيها يعنى بنصب الألف وخفض الفاء يقول أظهرها ثم أما سمعت قول الشاعر :

داب شهرين ثم شهراً دميكا بأربكين يخفيان خميرا

قال السدى الغمير نبت رطب ينبت فى خلال بيس ، والأربكين موضع ، والدميك الشهر الثام وهذا الشعر لكعب ابن زهير . وقوله سبحانه وتعالى ( لتجزى كل نفس بما تسعى ) أى أقيمتها لا محالة لأجزى كل عامل بعمله ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) ( وإنما تجزون ما كنتم تعملون ) وقوله ( فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها ) الآية المراد بهذا الخطاب أحاد المكلفين أى لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذه فى ذنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر ( فتردى ) أى تهلك وتعطب قال الله تعالى ( وما ينفعه ماله إذا تردى ) .

﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَىٰ بِهَا قَلْبِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَىٰ \* قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَىٰ \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عزوجل وأنه لا يأتى به إلا نبي مرسل ، وقوله ( وما تلك بيمينك يا موسى ) قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإنياس له وقيل وإنما قال له ذلك على وجه التقرير أى أما هذه التى فى يمينك عصاك التى تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن ( وما تلك بيمينك يا موسى ) استفهام تقرير ( قال هى عصاى أتوكؤ عليها ) أى أعتد عليها فى حال الشى

(وأهش بها على غنمي) أي أهر بها الشجرة لیتساقط ورقها لترعاه غنمي ، قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك :  
المهش أن يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود فهذا المهش ولا يخط وكذا  
قال ميمون بن مهران أيضا . وقوله ( ولى فيها مأرب أخرى ) أى مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك ، وقد تكلف  
بعضهم لذكر شيء من تلك المأرب التي أهدمت قليل كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويفرسها فتصير شجرة  
تظله وغير ذلك من الأمور الحارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه  
الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية ، وكذا قول  
بعضهم إنها كانت لآدم كانت عليه الصلاة والسلام وقول الآخر إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة ، وروى عن  
ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب . وقوله تعالى ( قال ألقها يا موسى ) أى هذه العصا التي في يدك  
ياموسى ألقها ( فألقها فإذا حية تسعى ) أى صارت في الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فإذا هي  
تهتز كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة ( تسعى ) أى  
تمشى وتضطرب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سالك عن عكرمة عن ابن  
عباس ( فألقها فإذا هي حية تسعى ) ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعها فجعل موسى  
يسمع وقع الصخرة في جوفها فولى مدبرا ونودى أن ياموسى خذها فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خذها ولا تخف  
فقليل له في الثالثة إنك من الآمنين فأخذها . وقال وهب بن منبه في قوله ( فألقها فإذا حية تسعى ) قال فألقها على وجه  
الأرض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظريه الناظرون يدب يلتمس كأنه يتنقى شيئا يريد أخذه يمر بالصخرة  
مثل الخلفة من الإبل فيلتمها ويطن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه تتقدان نارا وقد عاد  
المحجن منها عرفا قيل شعر مثل النيازك وعاد الشعبان منها مثل القلب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف  
فلما عين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه  
ثم نودى ياموسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال ( خذها ) يبعينك ( ولا تخف سعيدها  
سيرتها الأولى ) وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف فدخلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على  
يده فقال له ملك أرايت ياموسى لوأذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف  
خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فاذا هي عصاه التي عهدتها  
وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبين ولهذا قال تعالى ( سعيدها سيرتها الأولى ) أى إلى حالها  
التي تعرف قبل ذلك

( وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى لِتُزَيِّنَ لِكَبْرِي \*  
أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \*  
يَفْقَهُوا قَوْلِي وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَتَبَ  
نُسُجًا كَثِيرًا \* وَتَذَكَّرُكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا )

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الأخرى وههنا  
عبر عن ذلك بقوله ( واضمم يدك إلى جناحك ) وقال في مكان آخر ( واضمم إليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان  
من ربك إلى فرعون وملكه ) وقال مجاهد واضمم يدك إلى جناحك كفك تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام  
كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تلالا كأنها فلقة قمر وقوله ( تخرج بيضاء من غير سوء ) أى من غير

برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة والضحاك والسدى وغيرهم ، وقال الحسن البصرى أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى ( لتريك من آياتنا الكبرى ) وقال وهب قال له ربه: أدنه فلم يزل يديه حتى سجد ظهره بمجدع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العصا وخضع برأسه وعنقه وقوله ( اذهب إلى فرعون إنه طغى ) أى اذهب إلى فرعون ملك مصر الذى خرجت فارا منه وهاربا فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الرب الأعلى . قال وهب بن منبه : قال الله لموسى انطلق برسالتى فإنك بسمعى وعينى وإن معك يدى وبصرى وإنى قد ألبستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى فأنت جند عظيم من جندى بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكبرى وغرته الدنيا عنى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم أنه لا يعرفنى فإنى أقسم بعزتى لولا القدر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فإن أمرت السماء حصبته وإن أمرت الأرض ابتلعته وإن أمرت الجبال دمرته وإن أمرت البحار غرقتة ولكنه هان على وسقط من عينى ووسعها حلمى واستغيت بما عندى وحقى إنى أنا الغنى لاغنى غيرى فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وتوحيدي وإخلاصى وذكرة أيامى وحذره نعمتى وبأسى وأخبره أنه لا يقوم شئ لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولنا لعله يتذكر أو يخشى وأخبره أنى إلى العفو والمغفرة أسرع منى إلى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته ييدى ليس ينطق ولا يطرף ولا يتنفس إلا بإذنى وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعائة سنة فى كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتمثل به وتصعد عباده عن سيده وهو يعطر عليك السماء وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء الله أن يجعل لك العقوبة لفعل ولكنه ذواتاة وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأتات تحتسبان بجهاده فإنى لو شئت أن آتية بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذى قد أعجبتة نفسه وجموعه أن الفشة القليلة ولا قليل منى تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا تعجبك زينته ولا مامتع به ولا تعدا إلى ذلك أعينك فأينها زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين ولو شئت أن أزينك من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت ولكنى أرغب بك عن ذلك وأزويه عنك وكذلك أفعال بأوليائى وقدما ماجرت عادنى فى ذلك فإنى لأذودهم عن نعميها وزخارفها كما يذود الراعى الشفيق إبله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم فى دار كرامتى سالما موفراً لم تكلمه الدنيا ، واعلم أنه لا يتزين لى العباد بزينة هى أبلغ فيما عندى من الزهد فى الدنيا فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسيامهم فى وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائى حقا حقا ، فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلك قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لى وليا أو أخافه فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرض لى نفسه ودعانى إليها وأنا أسرع شئ إلى نصرته أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى ، أم يظن الذى يعادىنى أن يعجزنى أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى أو يفوتنى . وكيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيرى رواه ابن أبى حاتم ( قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ) هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بهته به فإنه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم ، بعته إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفراً وأكثرهم جزواً وأعمرهم ملكاً وأطغاهم وأبلغهم تمرداً بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلها غيره ، هذا وقد مكث موسى فى داره مدة وليداً عندهم فى حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه اللدة بكها لهما ثم بعد هذا بعته ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال ( رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ) أى إن لم تكن أنت عونى ونصيرى وعضدى وظهيرى وإلا فلا طاقة لى بذلك ( واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ) وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سياتى بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكيفية بل بحيث

يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخبارا عن فرعون أنه قال ( أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ) أي يفصح بالكلام ، وقال الحسن البصري ( واحلل عقدة من لساني ) قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطي ، وقال ابن عباس شكى موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رعداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه سؤله فحل عقدة من لسانه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أوطاة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرظي يا ابن أخي أأنت أفهمك إذا حدثتكم . قال نعم قال فان موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه . وقوله ( واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ) وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له . قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال نبي هارون ساعته حين نبي موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا لا ندرى . قال أنا والله أدرى ؟ قالت فقلت في نفسي في حلفه لا يستثنى إنه يعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه . قال موسى حين سأل لأخيه النبوة ، فقلت صدق والله . قلت ومن هذا قال الله تعالى في الشاء على موسى عليه السلام ( وكان عند الله وجيهاً ) وقوله ( اشدد به أزرى ) قال مجاهد ظهري ( وأشركه في أمرى ) أي في مشاورتي ( كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائماً وقاعدا ومضطجعاً ، وقوله ( إنك كنت بنا بصيرا ) أي في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثتك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ \* وَقَدْ مَنَّآ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَمِكَ مَا يُؤْحَى ﴾ \*

أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي النَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَابًا مِّنِّي وَلِتَنْصَعَ عَلَىٰ عَيْنِي \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَتَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَفَقَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴿

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكيره بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والحلم ما ذكره الله عنها في قوله ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) فذهب به البحر إلى دار فرعون ( فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ) أي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذرا من وجود موسى فحكّم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى ( يأخذه عدو لي وعدو له \* وألقيت عليك محبة مني ) أي عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل ( وألقيت عليك محبة مني ) قال حبيبتك إلى عبادي ( ولتصنع على عيني ) قال أبو عمران الجوني تربى بين الله وقال قتادة تغذى على عيني وقال معمر بن الثني ( ولتصنع على عيني ) بحيث أرى ، وقال عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم يعني أجمعه في بيت الملك نعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة . وقوله ( إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ) وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها قال الله تعالى ( وحرمتنا عليه المراضع من قبل ) فجاءت أخته وقالت ( هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ) تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث « مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » وقال تعالى ههنا ( فرجعناك إلى أمك كي تقر عنها ولا تحزن ) أي عليك ( وقتلت نفساً ) يعني القبطى ( فنجيناك من التم ) وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح ( لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) . وقوله ( وقتلت فتونا ) قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله ( وقتلت فتونا ) ( حديث الفتون ) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال سأل عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام ( وقتلت فتونا ) فسألته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أبناء وملوكا فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فاتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم السفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم والصغار يذبحون قالوا ليوشكن أن تفتنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكفونكم فاقبلوا عاما كل مولود ذكر واتركوا بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائدهم إياكم ولم يفتنوا بمن تقتلون وتحتجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهروان في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنا الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثانه فاتمى الماء به حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فأردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهم إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة انلك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج منه شيئا حتى دفعته إليها فلما فتحت رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها حبة لم يلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع الدباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتى فرعون فأستوهبه منه فان وهبه لى كنتم قد أحستتم وأجملتم وإن أمر بذبجه لم ألكم فأتمت فرعون فقالت قرة عين لى ولك فقال فرعون يكون لك فأما لى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك » فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظفرا فجعل كلأخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق وجمع الناس ترجوا أن تجد له ظفرا تأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهاتفت لأخته قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحمى ابني أم قد

أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدّها فيه فصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به فقالت من الفرح حين أعيانهم الظوُّرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنبها ريا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت إليها فأنت بها وبه فلما رأته ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيته فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فاني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدّها فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممنوعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيروني ابني فوعدهتها يوما تزيروها إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لحزانتها وظورها وقهارتها لا يقيين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أمينا يحصى ما يصنع كل إنسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجملته وأكرمته وفرحت به ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فليتحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدّها إلى الأرض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه انه زعم أن يرثك ويعاوك ويصرعك فأرسل إلى الدباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به . وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت ما بدالك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال الأترينه يزعم أنه يصرعني ويعلونني فقالت اجعل بيني وبينك أمرا يعرف الحق به اثت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فغضب الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالغا فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتلان أحدهما فرعونى والآخر إسرائيلى فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكر موسى الفرعونى قتلته وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم قال ( رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ) فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وإن كان صفوة مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلموا لي علم ذلك أخذ لكم بحقكم فيبتناهم يطوفون لا يجدون نبأ إذا بموسى من القدر رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الاسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوى مبين فنظر الاسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوى مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أرادها إنما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيل وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته فتاركا وانطلق الفرعونى فأخبرهم بما سمع

من الإسرائيليين من الخبر حين يقول يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس فأرسل فرعون الذابحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يعيشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال ( عسى ربي أن يهديني سواء السبيل \* ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ) يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معرتين لاتسقيان مع الناس ؟ قلنا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقى من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء فانصرفنا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال ( ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير ) واستنكر أبوها سرعة صدورهما بغيرهما حفلاً بطاناً فقال إن لكما اليوم لشأناً فأخبرناه بما صنع موسى فأمر إحداها أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلفه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت إحداها ( يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ) فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أماته فقالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقى منه وأما الأمانة فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعني لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك أن أكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين . ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت ستان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتها عشرا ، قال سعيد وهو ابن جبير : فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت لا وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك ، فقال أما علمت أن ثمانيا كانت على نبي الله وجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي كان وعده فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قلت أجل وأولى ، فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى الله تعالى ما يجد من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هرون يكون له رذءاً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤاله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هرون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هرون عليه السلام ، فانطلقا جميعا إلى فرعون فأقاما على بابه حين لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا ( إنا رسولا ربك ) قال فمن ربكما ؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن ؟ قال فما تريدان ؟ وذكره القليل فاعتذر بما قد سمعت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا بني إسرائيل ؟ فأبى عليه وقال ائت بآية إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فالتجتم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول ، فاستشار الملائكة حوله فيما رأى ، فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجكما من أرضكم بسحرهما ويندبا بطريقتكم الثلي يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فانهم بأرسلك كثير حتى تغلب بسحرهم سحرهما فأرسل إلى اللدائن فحشر له كل ساحر متعلم ، فلما أتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات ، قالوا فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذي نعمل فما أجرنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع اليكم كل شيء أحببتم ، فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى . قال سعيد بن جبير فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء . فلما اجتمعوا

في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) يعنون موسى وهارون استهزاء بهما؟ فقالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين \* قال بل ألقوا بحابلهم وعصيم وقالو بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فافرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جزراً إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقّت عصا ولا حبالاً إلا ابتعلته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله عز وجل آمننا بالله وبما جاء به موسى من عند الله وتوكلنا على الله بما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك للوطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون (فغلبوا هنالك واقلبوا صاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتدلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى ، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المذائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدى موسى بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقى بعد من فرعون وأشياعه ، ففسى موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً لله . فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون افعل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال وعدنى ربي إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفلق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا تؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له بيده حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون \* إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الآية . قد رأيت من العبر وصعتم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلاً وقال أطيعوا هارون فإنه قد استخلفته عليكم فأتى زاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً فضغنه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان ، قال يا رب إني كرهت أن أكلك إلا وفني طيب الريح قال أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح السك ارجع فصم عشراً ثم اثنتي ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قومه أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوارى وودائع ولكم فهم مثل ذلك فأتى أنكم تحتسبون مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين إليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكياً لأنفسنا فحضر حفيراً وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا قضى له أن رأى أثر قبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامري ألا تلتقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقىها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقىها أن يجعلها ما تريد ، فألقاها ودعا له هارون ، فقال أريد أن يكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلًا أجوف ليس فيه روح وله خرار ، قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط

إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتنفرق بنو إسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق ، فقالت فرقة لانكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فانا نتبع قوله موسى ، وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال البسامري في العجل وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون ( يا قوم إنما فتتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ) قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا، هذه أربعون يوما قد مضت ، وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه يتبعه ، فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده ( فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ) فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف إلى البسامري فقال له ما حملك على ما صنعت قال قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم ( فبذتها وكذلك سولت لي نفسي ، قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن نخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلت عليه ما كفا لتحرقتة ثم لننسنفه في اليم نسفاً ) ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغبط الدين كان رأيهم فيه مثل رأى هارون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألو الخير خيار بنى إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال ( رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ) وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ) فقال يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي هلا آخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل الرحومة فقال له إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمرهم به أن يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرأوا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيامهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكروا من عمارهم أمرا عجبيا من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فاندخلوا قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأت قال نعم من الجبارين آمننا بموسى وخرجنا إليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فأنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل ( قالوا يا موسى إنالن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ) فأغضبوا موسى فدا علىهم ومسامهم فاستيقن ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له ومسامهم كما مسامهم موسى فاستيقن وحرما عليهم أربعين سنة يتهبون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم الن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مرعبا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينتهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك بالحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس : رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفتى

على موسى أمر القتل الذي قتل فقال كيف يفشى عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتل موسى الذي قتل من آل فرعون؟ الإسرائيلي الذي أفضى عليه أم الفرعوني؟ قال إنما أفضى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما بما أبيض نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحرار . أو غيره والله أعلم وممعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً ، وقوله عز وجل

﴿ قَلْبُتَّ سَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدِينٍ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى \* وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي \* أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِنَائِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي \* أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

يقول تعالى مخاطباً لموسى عليه السلام إنه لبث مقباً في أهل مدين فآرا من فرعون وملئه يري على صهره حتى انتهت السنة وانقضى الأجل ثم جاء موافقاً لقدر الله وإرادته من غير ميعاد والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو السير عبادة وخلقه فيما يشاء ولهذا قال (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مجاهد أي على موعد ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ثم جئت على قدر يا موسى) قال على قدر الرسالة والنبوة . وقوله (واصطنعتك لنفسى) أي اصطفتك واجتبتك رسولا لنفسى أي كما أريد وأشاء ، وقال البخاري عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذي اصطفاك الله برسائه واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا على قلب أن يخلفني قال نعم فحج آدم موسى» أخرجه وقوله (اذهب أنت وأخوك بآياتي) أي بحجبي وبراهيني ومعجزاتي (ولا تنيا في ذكري) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطنأ ، وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعنا والمراد أنها لا يفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له كما جاء في الحديث «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناظر قرنه» وقوله (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) أي تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه (فقولا له قولاً ليس له يتذكر أو يخشى) هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفة الله من خلقه إذذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قوله (فقولا له قولاً ليس له)

يا من يتعجب إلى من يعاديه ، فكيف بمن يتولاه ويناديه ؟

وقال وهب بن منبه قولاً له إنى إلى العفو والغفرة أقرب منى إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله (فقولا له قولاً ليس له) قال لا إله إلا الله ، وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى (فقولا له قولاً ليس له) أعذرا إليه قولاً له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونارا وقال بيه عن علي بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن الزال بن سبرة عن علي في قوله (فقولا له قولاً ليس له) قال كنه وكذا روى عن سفيان الثوري كنه بأبي مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتها له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأجمع كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (له يتذكر أو يخشى) أي لعله يرجع مما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أي يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى (لمن أراد أن يذكر أو يخشى) فالتذكر الرجوع عن المهدور والخشية تحصيل الطاعة ، وقال الحسن البصرى (له يتذكر أو يخشى) يقول : لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون أهلكه قبل أن أعذر إليه ، وههنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروي لأمية بن

أبي الصلت فيما ذكره ابن إسحاق .

وأنت الذي من فضل من ورحمة	بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا	إلى الله فرعون الذي كان باغيا
فقولا له هل أنت سويت هذه	بلاوتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آ أنت رفعت هذه	بلاعمد ارفق إذن بك بانيا
وقولا له آ أنت سويت وسطها	منيرا إذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة	فيصبح مامت من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى	فيصبح منه البقل يهتز رايا
ويخرج منه حبه في رءوسه	ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله عز وجل :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِنَا ﴾ \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى \* فَأْتِيَاهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى \* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهرون عليهما السلام أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكين إليه ( إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ) يعنى أن يبدد إليهما بقوية أو يعتدى عليهما قيعا قيعا وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبدا الرحمن ابن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى : يعتدى ( قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى ) أى لا تخافا منه فأننى معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى على من أمركم شيء واعلموا أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبسط إلا بأذنى وبعد أمرى وأنا معكما بحفظى ونصرى وتأيدى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى إلى فرعون فقال رب أى شيء أقول قال قل هياشراها قال الأعمش فسر ذلك أنا الحى قبل كل شيء والحى بعد كل شيء إسناد جيد وشيء غريب ( فأتياه ققولا إنا رسولا بك ) قد تقدم فى حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثنا على بابها حين لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هرون خرجا فوقفا يباب فرعون يلتصمان الاذن عليه وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فكثنا فبا بلغنى سنتين يقدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك إن على بابك رجلا يقول قولا عجبا يزعم أن له إلها غيرك أرسله إليك . قال يبابى ؟ قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفى يده عصاه فلما وقف على فرعون قال إنى رسول رب العالمين فعرفه فرعون ، وذكر السدى أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسما عليه فقال له موسى يا هرون إن ربى قد أمرنى أن آتى هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرك أن تعاوننى قال افعلى ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترىء على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنوننا يقول إنه رسول الله فقال على به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله فى كتابه وقوله ( قد جئناك بآية من ربك ) أى بدلالة ومعجزة من ربك ( والسلام على من أتبع الهدى ) أى والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يوثق الله أجرك مرتين» وكذلك لما كتب مسيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا صورته من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فاني قد أشركتك في الأمر فلك المدر ولى الوبر ولكن قريش قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون ( والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ) أى قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى ( فأما من ظنى وآثر الحياة الدنيا \* فان الجحيم هي المأوى ) وقال تعالى ( فأنذرتمكم ناراً تلتظي \* لا يصلاحها إلا الأشتى \* الذى كذب وتولى ) وقال تعالى ( فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ) أى كذب بقلبه وتولى بفعله

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾

يقول تعالى محبوا عن فرعون أنه قال لموسى منكرا وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربى ومليكه قال ( فمن ربكما يا موسى ) أى الذى بعثك وأرسلك من هو فاني لأعرفه وما علمت لكم من إله غيرى ( قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول خلق لكل شيء زوجة وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الإنسان إنسانا والحمار حمارا والشاة شاة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد أعطى كل شيء صورته وقال ابن أبى نجيب عن مجاهد: سوى خلق كل دابة وقال سعيد بن جبير فى قوله ( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) قال أعطى كل ذى خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغى له من النكاح وهياكل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئا من أفعاله فى الخلق والرزق والنكاح ، وقال بعض المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى ( الذى قدر فهدى ) أى قدر قدرا وهدى الخلائق إليه أى كتب الأعمال والآجال والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول ربنا الذى خلق الخلق وقدر القدر وجعل الخليفة على ما أراد ( قال فما بال القرون الأولى ) أصح الأقوال فى معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذى أرسله هو الذى خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أى الدين لم يعبدوا الله أى فبالهزم إذ كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى فى جواب ذلك هم وإن لم يعبدوه فان عملهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزئهم بعملهم فى كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمار ( لا يضل ربى ولا ينسى ) أى لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف عمله تعالى بأنه بكل شيء عحيط وأنه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فان علم الخلق يعتبره نقصان أحدهما عدم الاحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد علمه فتره نفسه عن ذلك

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى \* كُلُوا وَارْزُقُوا وَأَنِمُّكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ \* مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ نَارَةً أُخْرَى \* وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾

هذا من تمام كلام موسى فيها وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال ( الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى )

ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال (الذي جعل لكم الأرض مهادا) وفي قراءة بعضهم مهدا أي قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا لهم يهتدون) (وأُنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أي من أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع (كلوا وارعوا أنعامكم) أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لأنعامكم لأقواتها خضرا وبيضا (إن في ذلك لآيات) أي لدلالات وحججا وبراهين (لأولي النهي) أي لنهى العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي من الأرض مبدؤكم فان أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض وفيها نعيدكم أي وإليها تصيرون إذا متم وبلبتم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وهذه الآية كقولها تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى وقوله (ولقد أراينا آياتنا كلها فكذب وأبى) يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعابن ذلك وأبصره فكذب بها وأبأها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۖ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۙ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرتنا بهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحرا مثل سحرِكَ فلا يفرنك ما أنت فيه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي يوما نجتمع نحن وأنت فيه فعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك (قال) لهم موسى (موعدكم يوم الزينة) وهو يوم عيدهم وترفغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لجوارق العادات النبوية ولهذا قال (وأن يحشر الناس) أي جميعهم (ضحى) أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح ، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويع ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء وقال السدي وقتادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبير كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح وقال وهب ابن منه قال فرعون يا موسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أومر بهذا إنما أمرت بمناجرتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله إلى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقتادة مكانا سوى منصفا وقال السدي عدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستويين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَنَّىٰ ۖ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَسْكُمْ لَا تَقْتَدِرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ۖ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۖ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ۖ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ۙ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلومين تولى أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثيرا نائفا جدا كما قال تعالى (وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم) ثم أتى أي اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سريره مملكته واصطف له أ كابر دولته ووقفت الرعايا يمنة وسرة وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه أخوه هرون ووقفت السحرة بين يدي فرعون صفوفًا وهو يحرضهم ويختمهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يهدم ويمنهم يقولون (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن القربين) (قال لهم ويلكم لا تكفروا على الله كذبا) أي لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لاحقائق لها وإنما مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله (فيسحركم بعذاب) أي يهلككم بعقوبة هلاك لا بقية له (وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي ، وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله (وأسرورا النجوى) أي تناجوا فيما بينهم (قالوا إن هذان لساحران) وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ، ومنهم من قرأ (إن هذين لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه . والقرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون موسى وهرون - ساحران عالمان خيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يعلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينضرا عليه ويخرجواكم من أرضكم . وقوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) أي ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم أموال وأرزاق عليها يقولون إذا غلب هذان أهلناكم وأخرجواكم من الأرض وتفردا بذلك وتمحضت لها الرياسة بهادونكم ، وقد تقدم في حديث الفتون أن ابن عباس قال في قوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن عبد الرحمن بن إسحق مع الشعبي يحدث عن علي في قوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) قال يصرقا وجوه الناس اليهما ، وقال مجاهد (ويذهب بطريقتكم المثلى) قال أولو الشرف والعقل والأسنان . وقال أبو صالح بطريقتكم المثلى أشرافكم وسرواتكم ، وقال عكرمة بخيركم ، وقال قتادة وطريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله يريدان أن يذهبا بها لانفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلى بالذي أتم عليه ، وقوله (فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا) أي اجتمعوا كلكم صفا واحدا وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتغلبوا هذا وأخاه (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي منا ومنه ، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل وأما هو فينال الرياسة العظيمة

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى \* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى \* فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمِنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى (إما أن تلقى) أي أنت أولا (وإما أن نكون أول من ألقى) \* قال بل ألقوا) أي أتم أولا لنرى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جلية أمرهم (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وفي الآية الأخرى أنهم لما ألقوا (قالوا بعزة فرعون إننا نحن الغالبون) وقال تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال ههنا (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيلة وكانوا جما غفيرا وجمعا كثيرا فألقى كل منهم عصا وجبلا حتى صار الوادي ملاء حيات يركب بعضها بعضاً ، وقوله ( فأوجس في نفسه خيفة موسى ) أى خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويفتروا بهم قبل أن يلتقى ما في يمينه فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألقى ما في يمينك يعنى عصاك فإذا هي تلقف ما صنعوا وذلك أنها صارت تنينا عظيماها مثل ذاقوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الجبال والعصى حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقفته وابتلغته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جبهة نهارا ضحوة ، فقامت المعجزة ووضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى ( إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ - عن الحسن بن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخذتم - يعنى الساحر - فاقتلوه - ثم قرأ - ( ولا يفلح الساحر حيث أتى ) قال لا يؤمن حيث وجد » وقد روى أصله الترمذى موقوفا ومرفوعا . فلما عان السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن هذا الذى فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مرية فيه ولا يقدر على هذا إلا الذى يقول للشيء كن فيكون فعند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء بررة . قال محمد بن كعب كانوا ثمانين ألفاً ، وقال القاسم بن أبي بزة كانوا سبعين ألفاً وقال السدى بضعة وثلاثين ألفاً ، وقال الثورى عن عبد العزيز ابن ربيع عن أبي تمامة كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفاً ، وقال محمد بن إسحق كانوا خمسة عشر ألفاً ، وقال كعب الأبحار كانوا اثني عشر ألفاً ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن علي بن حمزة حدثنا علي بن الحسين ابن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسا شهداء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا السيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال : قال الأوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ، قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سلمان عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قوله ( وألقى السحرة سجدا ) قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي بزة

﴿ قَالَ ءَامَنُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَا قَطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَلَّمَعْنَ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى \* قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرتة الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة قتهدهم وتوغدهم وقال ( آمنتم له ) أى صدقتموه ( قبل أن آذن لكم ) أى وما أمرتكم بذلك واقتم على ذلك ، وقال قولاً يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب ( إنه لكبيركم الذى علمكم السحر ) أى أتم إنما أخذتم السحر عن موسى وانفقتم أتم وإياه على وعلى ريعتي لتظروه كما قال تعالى في الآية الأخرى ( إن هذا لمكر مكرموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ) ثم أخذ يتهدهم فقال ( لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ) أى لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم قال ابن عباس فكان

أول من فعل ذلك رواء ابن أبي حاتم . وقوله ( وتعلمن أينا أشد عذابا وأبقي ) أى أتم تقولون إني وقومي على ضلالة وأتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه ، فلما سال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل و( قالوا لن نؤثر لك على ماجاءنا من البينت ) أى لن نختار لك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ( والذى فطرنا ) يحتمل أن يكون قسما ويحتمل أن يكون معطوفا على البيئات ، يعنون لا نختار لك على فاطرنا وخالقنا الذى أنشأنا من العدم المبتدى خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت ( فاقض ما أنت قاض ) أى فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك ( إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ) أى إنما لك تسلط في هذه الدار وهى دار الزوال ونحن قد رغبتنا في دار القرار ( إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا ) أى ما كان منا من الآثام خصوصا ما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا سفيان ابن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ( وما أكرهتنا عليه من السحر ) قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بني إسرائيل فأمر أن يعلموا السحر بالفرما وقال علموهم تعليما لا يعلمه أحد في الأرض ، قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا ( آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ) وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقوله ( والله خير وأبقي ) أى خير لنا منك ( وأبقي ) أى أدم ثوابا بما كنت وعدتنا ومنيتنا وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله . وقال محمد بن كعب القرظي ( والله خير ) أى لنا منك إن أطيع ( وأبقي ) أى منك عذابا إن عصى ، وروى نحوه عن ابن إسحاق أيضا . والظاهر أن فرعون لعنه الله صمم على ذلك وقله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمسا شهداء

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ \* وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ \* جَدَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يحدرونه من نعمة الله وعذابه الدائم السرمدى ويرغبونه في ثوابه الأبدى الخلد فقالوا ( إنه من يأت ربه مجرما ) أى يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم ( فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ) كقوله ( لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ) وقال ( وتجنّبها الأشتى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ) وقال تعالى ( ونادوا يا مالك ليقتض عنا ربك قال إنكم ماكثون ) وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا إسماعيل أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتصيبهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فبشوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم في كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر بن المفضل كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا أبي حدثنا حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ( إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ) قال النبي ﷺ « أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها فان النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت العشب في حميل السيل » وقوله تعالى ( ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات ) أى ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمنا القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله ( فأولئك لهم الدرجات العلى ) أى الجنة ذات الدرجات العاليات والتعرف الآمات والمساكن الطيبات . قال الإمام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن

النبي ﷺ قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألت الله فاسأله الفردوس » ورواه الترمذى من حديث يزيد بن هارون عن همام به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى أخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فيهن الياقوت والحلى في كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد ، وفي الصحيحين « إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم - قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال - بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفي السنن وإن أبا بكر وعمر لنتهم وأنعموا وقوله (جنات عدن) أى إقامة وهى بدل من الدرجات العلى (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ما كثرين أبداً (وذلك جزاء من تزكى) أى طهر نفسه من الدنس والحُبث والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ نَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا يَخْشَىٰ \* فَاتَّبَعَهُمْ فَرَعُونُ فَجَنَدَهُ فَفَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ \* وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبراً أنه أمر موسى عليه السلام حين أتى فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل أن يسرى بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا القام في غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج بينى إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لاداع ولا محيب فغضب فرعون غضباً شديداً وأرسل في اللدائن حاشرين أى من يجمعون له الجند من بلدانه ورسايقه يقول إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون ثم لما جمع جنده واستوسق له جيشه ساق في طلبهم فأتبعوهم مشرقين أى عند طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى نظر كل من الفريقين إلى الآخر قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربي سيهدين) ووقف موسى بينى إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه (أن اضرب لهم طريقاً في البحر يبسا) فاضرب البحر بعصاه وقال انقلب على ياذن الله فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض فلهدا قال (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف دركا) أى من فرعون (ولا تخشى) يعنى من البحر أن يغرق قومك ثم قال تعالى (فاتبعهم فرعون بجنوده ففشاهم من اليم) أى البحر (ما غشاهم) أى الذى هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الأمر المعروف للشهور كما قال تعالى (واللؤتفة أهوى فغشاها ما غشى) وقال الشاعر :

\* أنا أبو النجم وشعري شعري \* أى الذى يعرف وهو مشهور . وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم فى اليم فأضلهم وما هدهم إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ويئس الورد الورود

﴿ يَذَّبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْتَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْفَؤْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ \* وَإِنِّي لَنَفَارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾

يذكر تعالى نعمه على بنى إسرائيل العظام ومنته الجسم حيث أتجهم من عدوهم فرعون وأقر أعينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا فى صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال (وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون) وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذى أظفر الله فيه

موسى على فرعون فقال « نحن أولى بموسى فقوموه » رواه مسلم أيضا في صحيحه ، ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بمسد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن وهو الذى كله الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هنالك وفي غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريبا ، وأما المن والسوى فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها فالمن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء ، والسوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفًا من الله ورحمة بهم وإحسانا إليهم ولهذا قال تعالى ( كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تظفوا فيه فيحل عليكم غضبي ) أى كلوا من هذا الرزق الذى رزقناكم ولا تظفوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجة وتخالفوا ما أمرتكم به ( فيحل عليكم غضبي ) أى أغضب عليكم ( ومن يهمل عليه غضبي فقد هوى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى فقد شتمى وقال شفى بن مانع إن في جهنم قصيرا يرمى الكافر من أعلاه فيهبى في جهنم أربعين خريفا قبل أن يبلغ الصلصال وذلك قوله ( ومن يهمل عليه غضبي فقد هوى ) رواه ابن أبى حاتم وقوله ( وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ) أى كل من تاب إلى تبت عليه من أى ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بنو إسرائيل ، وقوله تعالى ( تاب ) أى رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو موصية أو نفاق ، وقوله ( وآمن ) أى بقلبه ( وعمل صالحا ) أى بحوارجه ، وقوله ( ثم اهتدى ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى ثم لم يشكك ، وقال سعيد بن جبير ( ثم اهتدى ) أى استقام على السنة والجماعة ، وروى نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف وقال قتادة ( ثم اهتدى ) أى لزم الإسلام حتى يموت ، وقال سفيان الثوري ( ثم اهتدى ) أى علم أن لهذا ثوابا ، وثم ههنا لترتيب الخبر على الخبر كقولهم ( ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات )

( وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى \* قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ \* فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبًا أُسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَمُرُّكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوَئِدِي \* قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوَئِدَكَ بِمِلْكِنَا وَلَكِنَّا مُخْلِئُونَ أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ \* أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا )

لما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون ( وأتوا على قوم يمكنون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كإلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ) وواعده رب ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشرا فتمت أربعين ليلة أى يصومها ليلا ونهارا وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادرا إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هرون ولهذا قال تعالى ( وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى ) أى قادمون ينزلون قريبا من الطور ( وعجلت إليك رب لترضى ) أى لتزداد عنى رضا ( قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ) أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل وعبادتهم العجل الذى عمل لهم ذلك السامري. وفي الكتب الاسرائيلية أنه كان اسمه هرون أيضا وكتب الله تعالى له في هذه المدة الألواح التضمنة للتوراة كما قال تعالى ( وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ) أى عاقبة الخارجين عن طاعة الخالقين لأمرى ، وقوله ( فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ) أى بعد ما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم ، هو فيها هو فيه

من الاعتناء بأمرهم وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرف لهم وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ولهذا قال رجع إليهم غضبان أسفا والأسف شدة الغضب وقال مجاهد غضبان أسفا أي جزعا وقال قتادة والسدى أسفا حزينا على ما صنع قومه من بعده ( قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ) أي أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله ( أفضال عليكم العهد ) أي في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم ( أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ) أم ههنا بمعنى بل وهي للاضراب عن الكلام الأول وعدول إلى الثاني كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفت موعدي قالوا أي بنوا إسرائيل في جواب ما أنبههم موسى وقرعهم ( ما أخلفنا موعداك بملكنا ) أي عن قدرتنا واختيارنا ، ثم شرعوا يعتذرون بالصدر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقتلناها أي ألقيناها عنا ، وقد تقدم في حديث الفتون أن هرون عليه السلام هو الذي كان أمرهم بالقاء الحلي في حفرة فيها نار وهي في رواية السدى عن أبي مالك عن ابن عباس إنما أراد هرون أن يجتمع الحلي كله في تلك الحفرة ويجعل حجرا واحدا حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء ثم جاء ذلك السامري فألقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول وسأل من هرون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوة فدعا له هرون وهو لا يعلم ما يريد فأجيب له فقال السامري عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا فكان عجلا له خوار أي صوت استدراجا وإمهالا ومحنة واختبارا ولهذا قال ( فكذلك ألقى السامري ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عباد بن الجحري حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هرون مر بالسامري وهو ينحت العجل فقال له ما تصنع فقال أصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه ومضى هرون وقال السامري اللهم إني أسألك أن يخور فخار فكان إذا خار سجدوا له وإذا خار رفعوا رؤوسهم . ثم رواه من وجه آخر عن حماد وقال أحمل ما ينفع ولا يضر وقال السدى كان يخور ويمشي فقالوا أي الضلال منهم الذين اقتتنوا بالعجل وعبدوه ( هذا إلهكم وإله موسى فنسى ) أي نسيه ههنا وذهب يتطلبه كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنسى أي نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم وقال محمد بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقالوا ( هذا إلهكم وإله موسى ) قال فكفوا عليه وأجوه حبا لم يحبوا شيئا قط يعني مثله يقول الله ( فنسى ) أي ترك ما كان عليه من الإسلام يعني السامري قال الله تعالى ردا عليهم وتقريعا لهم وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيأذهبوا إليه ( أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا تنقا ) أي العجل أفلا يرون أنه لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا تنقا أي في دنياهم ولا في أخراهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج منه فيسمع له صوت ، وقد تقدم في حديث الفتون عن الحسن البصري أن هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب يعني هل يصل في أم لا فقال ابن عمر رضي الله عنهما انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة !

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونَ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾

﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

يخبر تعالى عما كان من نهي هرون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل وإخباره إياهم إمامنا فتنه لكم وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء قديره تقديراً، وذوالعرش المجيد الفعال لما يريد (فاتبعوني وأطيعوا أمري) أي فيما أمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هرون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه

﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي \* قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِبِلَاحِي وَلا يَرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تَرَقَّبَ قَوْلِي ﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلاً عند ذلك غضباً وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية وأخذ برأس أخيه يجره إليه وقد قدمنا في سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » وشرح يلوم أخاه هرون فقال ( ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ) أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع ( أفصيت أمري ) أي فيما كنت قدمت إليك وهو قوله ( اخلقني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ) قال ( يا ابن أم ) ترقق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال ( يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ) الآية . هذا اعتذار من هرون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسم ( قال إني خشيت ) أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لي لم تركتهم وحدهم وقررت بينهم ( ولم ترقب قولي ) أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم، قال ابن عباس وكان هرون هائباً مطيعاً له

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ \* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي \* قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا \* إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان السامري رجلاً من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفي رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان وقال قتادة كان من قرية سامرا ( قال بصرت بما لم يبصروا به ) أي رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون ( قبضت قبضة من أثر الرسول ) أي من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن السدي عن أبي بن عمارة عن علي رضي الله عنه قال إن جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام إلى السماء بصر به السامري من بين الناس قبض قبضة من أثر الفرس قال وحمل جبريل موسى عليهما السلام خلفه حتى إذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه، غريب، وقال مجاهد ( قبضت قبضة من أثر الرسول ) قال من تحت حافر فرس جبريل، قال والقبضة ملء الكف والقبضة بأطراف الأصابع ، قال مجاهد نبذ السامري أي ألقى ما كان في يده على حلية بني إسرائيل فانسبك

عجلا جسدا له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمارة حدثنا عكرمة أن السامري رأى الرسول فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء فقلت له كن فكان قبض قبضة من أثر الرسول فبيست أصابعه على القبضة ، فلما ذهب موسى للبيات وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلي آل فرعون فقال لهم السامري إنما أصابكم من أجل هذا الحلي فاجمعوا فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرآه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت كن فكان قذف القبضة وقال كن فكان عجلا جسدا له خوار فقال ( هذا إلهكم وإله موسى ) ولهذا قال ( فبنيتها ) أي ألقيتها مع من ألقى ( وكذلك سولت لي نفسي ) أي حسنته وأعجبها إذ ذاك ( قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ) أي كما أخذت ومست مالم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أي لا تماس الناس ولا يمسونك ( وإن لك موعداً ) أي يوم القيامة ( لن تخلفه ) أي لا يحيد لك عنه ، وقال قتادة ( أن تقول لا مساس ) قال عقوبة لهم وبهايم اليوم يقولون لا مساس : وقوله ( وإن لك موعداً لن تخلفه ) قال الحسن وقاتدة وأبو نهيك لن تغيب عنه وقوله ( وانظر إلى إلهك ) أي معبودك ( الذي ظلت عليه عاكفا ) أي أقت على عبادته يعني العجل ( لنحرقنه ) قال الضحاك عن ابن عباس والسدي سحله بالمبارد وألقاه على النار ، وقال قتادة استحال العجل من الذهب لحما ودما فحرقه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال ( ثم لنسفنه في اليم نسفا ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : إن موسى لما تعجل إلى ربه حمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بنو إسرائيل ثم صوره عجلا قال فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا ؟ قال يقتل بعضكم بعضا وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك وقوله تعالى ( إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ) يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له فإن كل شيء فقير إليه عبد له وقوله ( وسع كل شيء علما ) نصب على التمييز أي هو عالم بكل شيء ، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين ، والآيات في هذا كثيرة جداً

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا \* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا \* خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾

يقول تعالى لئيبه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع كذلك قص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، هذا وقد آتيناك من لدنا أي من عندنا ذكر أو هو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي لم يعط نبى من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم كتابا مثله ولا أكمل منه ولا أجمع لحبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ، وقوله تعالى ( من أعرض عنه ) أي كذب به وأعرض عن اتباعه أمرا وطلبا وابتغى الهدى من غيره فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء الجحيم ولهذا قال ( من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ) أي إنما كما قال تعالى ( ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ) وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال ( لأنذركم به ومن بلغ ) فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدى

ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشق في الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال ( من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه ) أى لا يحيد لهم عنه ولا انفسك ( وساء لهم يوم القيامة حملا ) أى بس الحمل حملهم

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الصور فقال « قرن ينفخ فيه » وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم، الدائرة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وجاء في الحديث « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحى جبهته وانتظر أن يؤذن له » فقالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله ( ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال ( يتخافتون بينهم ) قال ابن عباس يتسارون بينهم أى يقول بعضهم لبعض إن لبثتم إلا عسرا أى في الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها قال الله تعالى ( نحن أعلم بما يقولون ) أى في حال تناجهم بينهم ( إذ يقول أمثلهم طريقة ) أى العاقل الكامل فيهم ( إن لبثتم إلا يوما ) أى لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت ليالها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - إلى قوله - ولكنكم كنتم لا تعلمون ) وقال تعالى ( أولم نمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) الآية وقال تعالى ( كم لبثتم في الأرض عدد سنين \* قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين \* قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ) أى إنما كان لبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لأنتم الباقى على الفانى ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفانى على الدائم الباقى .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا \* لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا \* يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّعْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾

يقول تعالى ( ويسألونك عن الجبال أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟ قل ينسفها ربي نسفا ) أى يذهبها عن أما كتبها وبحقها ويسيرها تسيرا ( فيذرها ) أى الأرض ( قاعا صفصفا ) أى بساطا واحداً والقاع هو المستوى من الأرض والصفصاف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذى لانبات فيه والأول أولى وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم ولهذا قال ( لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ) أى لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف ( يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له ) أى يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسارعين إلى الداعى حيثما أمروا بادرُوا إليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أشفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ) وقال ( مهطعين إلى الداع ) وقال محمد ابن كعب القرظى يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه ، لذلك قوله ( يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له ) وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله ( وخشعت الأصوات للرحمن ) قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدى ( فلا تسمع إلا همسا ) قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس يعنى وطء الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ( فلا تسمع إلا همسا ) الصوت الخفى وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبیر ( فلا تسمع إلا همسا ) الحديث وسره ووطء الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين

وهو محتمل أما وطء الأقدام فالمراد سعى الناس إلى المحشر وهو مشبههم في سكون وخضوع ، وأما الكلام الحفي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى ( يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد )

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا \* وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

يقول تعالى ( يومئذ ) أى يوم القيامة ( لاتنفع الشفاعة ) أى عنده ( إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ) كقوله ( من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ) وقوله ( وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) وقال ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) وقال ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) وقال ( يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عزوجل أنه قال « آتى تحت العرش وأخرته ساجدا ويفتح على بمحمد لا أحصيا الآن فيدعى ما شاء أن يدعى ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع - قال - فيجدلى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود » فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء . وفى الحديث أيضا « يقول تعالى أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار من كان فى قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان فى قلبه ما وزن ذرة من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان » الحديث ، وقوله ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ) أى يحيط علما بالخلائق كلهم ( ولا يحيطون به علما ) كقوله ( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ) وقوله ( وعنت الوجوه للحى القيوم ) قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لا يموت ، القيوم الذى لا ينام وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل فى نفسه الذى كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به ، وقوله ( وقد خاب من حمل ظلما ) أى يوم القيامة فإن الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، وفى الحديث « يقول الله عزوجل وعزى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم » وفى الصحيح « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والحياة كل الحياة من لقي الله وهو به مشرك فإن الله تعالى يقول إن الشرك لظلم عظيم » وقوله ( ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ) لما ذكر الظالمين ووعدهم ثنى بالمتقين وحكسهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أى لا يزداد فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحدة فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا \* فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لاحالة أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربى مبين فصيح لا لبس فيه ولا عى ( وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ) أى يتركون المآثم والمحارم والنهواحتش ( أو يحدث لهم ذكرا ) وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات ( فتعالى الله الملك الحق ) أى تنزهه وتقدس الملك الحق الذى هو حق ووعدته حق ووعدته حق ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق ، وعدله تعالى أن لا يعذب أحدا قبل الانذار وبعثة الرسل والإعداد إلى خلقه لثلايق لأحد حجة ولا شبهة ، وقوله ( ولا تعجل بالقرآن من قبل أن

يقضى إليك وحيه) كقوله تعالى في سورة لا أقسم بيوم القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه\*)  
 فإذا قرأناه فاتبع قرآنه\* ثم إن علينا بيانه) وثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
 يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعنى أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي  
 كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه  
 لئلا يشق عليه فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) أى أن نجتمع في صدرك ثم تقرأه على الناس  
 من غير أن تنسى منه شيئا (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال في هذه الآية (ولا تعجل بالقرآن من  
 قبل أن يقضى إليك وحيه) أى بل أنصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراءه بعده (وقل رب زدنى علما) أى  
 زدنى منك علما ، قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في  
 الحديث « إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال  
 ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضى  
 الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم انفعنى بما علمتني وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله  
 على كل حال » وأخرجه الترمذى عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير به وقال غريب من هذا الوجه ، وراه البزار  
 عن عمرو بن على الفلاس عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره « وأعوذ بالله من حال أهل النار »

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا \* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا  
 إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ \* فَقُلْنَا يَا سَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى \* إِنَّ لَكَ أَلًا  
 تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى \* فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا سَادِمُ هَلْ أَدْرَاكَ عَلَى  
 شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى \* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لِهَمَّا سَوَاءَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ  
 وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :  
 إنما جمى الانسان لأنه عهد إليه فنى وكذا رواه على بن أبي طلحة عنه ، وقال مجاهد والحسن : ترك ، وقوله  
 ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ) يذكر تعالى تشریف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق  
 تفضيلا ، وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف وسبأ في آخر  
 سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره للملائكة بالسجود له تشريفا وتكريما وبين عداوة إبليس لبنى آدم ولأبهم  
 قديما ولهذا قال تعالى ( فسجدوا إلا إبليس أبى ) أى امتنع واستكبر ( قلنا يا آدم إن هذا عدو لك وزوجك ) يعنى  
 حواء عليهما السلام ( فلا يخرجنك من الجنة فتشقى ) أى إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب  
 رزقك فأنك ههنا في عيش رغيد هنىء بلا كلفة ولا مشقة ( إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ) إنما قرن بين الجوع  
 والعرى لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر ( وأنت لا تظمؤ فيها ولا تصحى ) وهذان أيضا متقابلان فالظما  
 حر الباطن وهو العطش والضحى حر الظاهر . وقوله ( فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدراك على شجرة الخلد  
 وملك لا يبلى ) قد تقدم أنه دلاهما بفرور ( وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ) وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن  
 يأكل من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكل منها وكانت شجرة الخلد يعنى  
 التي من أكل منها خلد ودام مكته وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن

أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد » ورواه الإمام أحمد ، وقوله ( فأكل منها فبدت لها سوءاتها ) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن اشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتم في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناده الرحمن يا آدم منى تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء أرايت إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال نعم » فذلك قوله ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ) وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضاً وقوله ( وطفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة ) قال مجاهد يرقمان كهيئة الثوب وكذا قال قتادة والسدي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( وطفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة ) قال يزعان ورق التين فيجعلانه على سوءاتهما وقوله ( وعصى آدم ربه فغوى \* ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى ) قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبيك وأشقيتهم ؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلو مني على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقني أو قدره الله على قبل أن يخلقني - قال رسول الله ﷺ - فحج آدم موسى » وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من السانيد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك ، قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أتلو مني على أن عملت عملاً كتب الله على أن عمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة - قال رسول الله ﷺ - فحج آدم موسى » قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿ قَالَ أَهْبَطْنَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعاً أي من الجنة كلكم ، وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة ( بعضكم لبعض عدو ) قال آدم وذريته ، وإبليس وذريته ، وإبليس وذريته وقوله ( فإمّا يأتينكم مني هدى ) قال أبو العالية : الأنبياء والرسل والبيان ( فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ( ومن أعرض عن ذكري ) أي خالف أمرى وما أنزلته على رسولى أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ( فإن له معيشة ضنكاً ) أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك للمعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( فإن له معيشة ضنكاً ) قال الشقاء وقال العوفي عن ابن عباس ( فإن له معيشة ضنكاً ) قال كلما أعطيته عبداً من عبادى قل أو أكثر لا يتقنى فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال أيضاً إن

قوما ضاللا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس خلفا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسئ الظن به والثقة به اشتدت عليه معيسته فذلك الضنك ، وقال الضحاك هو العمل السيء والرزق الحيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفیان ابن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله ( معيشة ضنكا ) قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه ، قال أبو حاتم الرازي : النعمان بن أبي عياش يكنى أبا سلمة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل ( فان له معيشة ضنكا ) قال ضمة القبر له والموقوف أصح . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمع عن ابن حجرية وأمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيم أنزلت هذه الآية ( فان له معيشة ضنكا ) أتدرون ما المديشة الضنك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تينا ، أتدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رموس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون » رفضه منكر جذا وقال البرازي حدثنا محمد بن يحيى الأزدي حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل ( فان له معيشة ضنكا ) قال « المديشة الضنك الذي قال الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة » وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ( فان له معيشة ضنكا ) قال « عذاب القبر » إسناده جيد وقوله ( ونحشره يوم القيامة أعمى ) قال مجاهد وأبو صالح والسدي لاجحة له وقال عكرمة عمى عليه كل شيء إلا جهنم ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما ماواهم جهنم ) الآية ولهذا يقول ( رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ) أي في الدنيا ( قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ) أي لما عرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك ( فالיום ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ) فان الجزاء من جنس العمل . فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وإن كان متوعدا عليه من جهة أخرى فانه قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك ، قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مامن رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجندم » ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِبَيِّنَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾

يقول تعالى وهكذا نجازي السرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة ( لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ) ولهذا قال ( وللعذاب الآخرة أشد وأبقى ) أي أشد المآ من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين « إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة »

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾  
 ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾

يقول تعالى (أفلم يهد) لهؤلاء الكاذبين بما جنتهم به يا محمد كم أهلكتنا من الأمم الكاذبين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفهم فيها يعيشون فيها (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) أى العقول الصحيحة والألباب المستقيمة كما قال تعالى ( أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور ) وقال فى سورة الم السجدة ( أو لم يهد لهم كم أهلكتنا من قبلهم من القرون يمضون فى مساكنهم ) الآية ثم قال تعالى ( ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ) أى لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والأجل المسمى الذى ضربه الله تعالى لهؤلاء الكاذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لئيبه مسليا له ( فاصبر على ما يقولون ) أى من تكذيبهم لك ( وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ) يعنى صلاة الفجر ( وقبل غروبها ) يعنى صلاة العصر كما جاء فى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ هذه الآية، وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رؤبة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لن يبلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفى السند والسنن عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه وإن أعلام منزلة من ينظر إلى الله تعالى فى اليوم مرتين » وقوله ( ومن آتاه الليل فبسبح ) أى من ساعاته فتعبد به وحمله بفضهم على المغرب والعشاء ( وأطراف النهار ) فى مقابلة آتاه الليل ( لعلك ترضى ) كما قال تعالى ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) وفى الصحيح « يقول الله تعالى يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول إنى أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » وفى الحديث الآخر « يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر إليه ، وهى الزيادة » .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرِّقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ ۖ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبَحُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

يقول تعالى لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظر أؤهم فيه من التعميم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادى الشكور ، وقال مجاهد أزواجا منهم يعنى الأغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال فى الآية الأخرى ( ولقد آتيناك سبعا من الثنائى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك ) الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف كما قال تعالى ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) ولهذا قال ( ورزق ربك خير وأبقى ) وفى الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ فى تلك الشربة التى كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس فى البيت إلا صبرة من قرظ واهية معلقة فابتدت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا عمر ؟ » فقال يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال « أو فى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا » فكان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا فى عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئا لقد ،

قال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا » قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال « بركات الأرض » وقال قتادة والسدى : زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة ( لفتنهم فيه ) لنبئهم وقوله ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ) أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ويرفأ وكان له ساعة من الليل يصلى فيها فرجما لم يغم فتقول لا يقوم الليلة كما كان يقوم وكان إذا استيقظ أقام يعني أهله وقال ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ) وقوله ( لانسألك رزقا نحن نرزقك ) يعني إذا أتمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ) وقال تعالى ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - إلى قوله - إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) ولهذا قال لانسألك رزقا نحن نرزقك ، وقال الثوري لانسألك رزقا أي لانكلفك الطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ ( ولا تمدن عينيك - إلى قوله - نحن نرزقك ) ثم يقول : الصلاة ، الصلاة ورحمكم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهله صلوا صلوا . قال ثابت وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالبي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك » ، وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبدالرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » وقوله ( والعاقبة للمتقوى ) أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت الليلة كأننا في دار عقبة بن رافع وأنا أمتنا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب »

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْنَا بِنَايَةِ مَنْ رَبِّهِ أَوْلَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* وَلَوْ أَنَا أَهْلِكُمْ مِمَّنْ بَدَّابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُنَبِّحَ بِآيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى \* قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار في قولهم ( لولا ) أي هلا يا تينا محمد بآية من ربه أي علامة دالة على صدقه في أنه رسول الله؟ قال الله تعالى ( أولم تأتوهم بيينة ما في الصحف الأولى ) يعني القرآن العظيم الذي أنزله عليه الله وهو أمي لا يحسن الكتابة ولم يدارس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافق عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فان القرآن مهيمن عليها يصدق الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى في سورة العنكبوت ( وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين \* أولم يكفهم أنا أنزلنا

عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « مامن نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطيها عليه السلام وهو القرآن وإلافه من المعجزات ما لا يحمد ولا يحصر كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه ثم قال تعالى ( ولو أنا أهلكنهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ) أي لو أننا أهلكننا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم ونزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا ( ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به وتتبعه كما قال ( فتتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ) يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعتون معاندون لا يؤمنون ( ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) كما قال تعالى ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون - إلى قوله - بما كانوا يصدفون ) وقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ) الآية وقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ) الآيتين ، ثم قال تعالى ( قل ) أي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده ( كل متربص ) أي مناومكم ( فربصوا ) أي فانتظروا ( فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ) أي الطريق المستقيم ( ومن اهتدى ) إلى الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالى ( وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ) وقال ( سيعلمون غذا من الكذاب الأثر ) . آخر تفسير سورة طه والله الحمد والمئة ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة الأنبياء والله الحمد

### ( تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام وهي مكية )

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال ، بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، هن من العتاق الأول وهن من تلادى

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا أُسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يُلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ \* قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* بَلْ قَالُوا أَضْفَتْ أَحْلامُ بِلْ أَقْتَرَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ \* مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْمُ يُؤْمِنُونَ )

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ( في غفلة معرضون ) قال « في الدنيا » وقال تعالى ( آتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال ( اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ) الآية ، وقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة الحسن بن هاني أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

الناس في غفلاتهم \* ورحا المنية تطحن

فقليله من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى ( اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) وروى (١) في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الأمدى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال إنى استقطعت

(١) هذا الخبر غير موجود في النسخة المكية .